ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.1].

الكتابات التاريخية في الحركة الوطنية الجزائرية
المقاومة والدعوة إلى وحدة المغارب (١٩٢٠-١٩٥٤)

د. بن عبد المومن إبراهيم
أستاذ التاريخ – قسم العلوم الإنسانية
جامعة العربي بن مهيدي
أم البواقي – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّص

إن سياسة التشويه التاريخي التي اعتمدتها فرنسا في مستعمراتها وقف ورائها أخصائيون ومؤرخون وعلماء آثار فرنسيون، فبالإضافة إلى هدم المنشآت الفكرية وطمس المعالم الدينية، ابتدعوا أفكار أخرى كان هدفها محو كل ما هو قيّم في مستعمرة الجزائر ومحميات بلاد المغارب، فقالوا بتأخر الحضارة الأمازيغية أحيانًا، وأصولها الآرية أو الأوروبية أحيانًا أخرى، مدعمين وجهة نظرهم بالتواجد الروماني المسيحي القديم في شمال إفريقيا، وواصفين الشعوب الأمازيغية تارات أخرى بالتوحش والتفرق والصراع والهمجية، هذا واعتبروا الفتح الإسلامي غزوًا عربيًا لم يعدّ بالفائدة على بلاد المغرب، وقد ذهب وراء تلك الكتابات والإشاعات العديد من المثقفين الجزائريين، وطلبة الجامعات، وحتى الأهالي الجزائريون، لذلك ظهرت طبقة مثقفة حملت على عاتقها لواء المقاومة والرد على مزاعم الفرنسيين. ومن منطلق أن الكتابة التاريخية كانت وما زالت تُعَدّ أهم وسيلة من وسائل المقاومة، والحفاظ على أسس ومقومات الشخصية الوطنية لمختلف شعوب العالم، لذلك سنحاول من خلال هذه الدراسة تقديم إطلالة موسعة على أهم الأقلام الجزائرية التي بصمت على حضورها في هذا المجال زمن الاحتلال الفرنسي، مؤكدة على أن الجزائر دولة عريقة موحدة من القدم، وتنتمي إلى الفضاء الطبيعي والروحي لها، ألا وهو المجال المغاربي الذي ينتمي بدوره إلى العالم العربي والإسلامي.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٠٧ يونيو ٢٠١٩
تاريخ قبول النشر: ١٣ أغسطس ٢٠١٩

كلمات مفتاحية:

التاريخ؛ التأريخ؛ الوحدة؛ المقاومة؛ المغرب العربي؛ الأمة العربية الإسلامية

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0055847

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بن عبد المومن إبراهيم. "الكتابات التاريخية في الحركة الوطنية الجزائرية: المقاومة والدعوة إلى وحدة المغارب (١٩٢٠-١٩٥٤)".- دورية كان التاريخية.- السنة الثانية عشرة- العدد الخامس والأربعون؛ سبتمبر ٢٠١٩. ص ٩٣ – ١٠٦.

مُقَدِّمَةُ

إن سياسة التشويه التاريخي التي اعتمدتها فرنسا في مستعمراتها وقف ورائها أخصائيون ومؤرخون وعلماء آثار فرنسيون، فبالإضافة إلى هدم المنشآت الفكرية وطمس المعالم الدينية، ابتدعوا أفكار أخرى كان هدفها محو كل ما هو قيّم في مستعمرة الجزائر و محميات بلاد المغارب، فقالوا بتأخر الحضارة الأمازيغية أحيانا، وأصولها الآرية أو الأوروبية أحيانًا أخرى، مدعمين وجهة نظرهم بالتواجد الروماني المسيحي القديم في شمال إفريقيا، وواصفين الشعوب الأمازيغية تارات أخرى بالتوحش والتفرق والصراع والهمجية، هذا واعتبروا الفتح الإسلامي غزوا عربيا لم يعدّ بالفائدة على بلاد المغرب، وقد ذهب وراء تلك الكتابات والإشاعات العديد من المثقفين الجزائريين، وطلبة الجامعات، وحتى الأهالي الجزائريون، لذلك ظهرت طبقة مثقفة حملت على عاتقها لواء المقاومة والرد على مزاعم الفرنسيين وإثبات أن للمغرب الكبير تاريخًا كبيرًا، وحضارات مزدهرة، وتاريخا مشرقا كتب بأحرف من ذهب، فحاولت هذه الأقلام الجزائرية الشابة والغيورة إعادة كتابة التاريخ

الجزائري والمغاربي من جديد، وسعت لتفنيد ما جاء في الدراسات والكتابات الغربية، وأكّدت على أن الجزائر ليست فرنسية لأنها ببساطة جزء لا يتجزأ من بلاد المغرب العربي الكبير[١]، الذي هو بدوره قطعة حيوية منتمية إلى العالم العربي الإسلامي؛ لذلك نسعى جاهدين من خلال هذا المقال أن نسلط الضوء على أهم الانتاجات الفكرية والعلمية التاريخية التي ساهمت في صدّ مزاعم الفرنسيين، وأثبتت أن الجزائر دولة تنتمي إلى العائلة المغاربية والإسلامية وليس للعائلة الأوروبية كما يشاع، فيا ترى ما فحوى هذه الكتابات؟ وإلى أي مدى ساهمت في التصدي للمخططات التقسيمية الفرنسية؟ وكيف تصدت للمدرسة الكولونيالية التغريبية؟

يرجع الدكتور سعد الله أن المفهوم السياسي للتاريخ في الجزائر ظهر ربما لأول مرّة على يد الأمير خالد فقد الذي استشهد في خطبه وعرائضه بتاريخ جدّه الأمير عبد القادر، وبكفاح الجزائريين خلال القرن١٩م، ويقول الراحل أبو القاسم سعد الله في هذا: "يظهر أن التغيّر الهام في مفهوم التاريخ وتقنياته قد ظهر مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان ذلك مرتبطا بظهور الحركة الإصلاحية من جهة، والحركة الوطنية (=المطالب السياسية) من جهة أخرى، فكانت جهود ابن باديس في الأولى، وجهود الأمير خالد في الثانية"[٢]، لذلك وفي فترة ما بين الحربين، ومع خضم التحول الذي عرفته الحركة الوطنية، ظهر مؤرخون جزائريون قادتهم الغيرة الوطنية مثّل غالبيتهم الحركة الإصلاحية من أمثال: "مبارك الميلي، وأحمد توفيق المدني، إذ حاول هؤلاء كتابة تاريخ يشمل كلّ الحقب من العهد الفينيقي-البربري القديم إلى غاية الفترة المعاصرة، مع تفضيل الارتباط بالشرق الإسلامي والطابع المغربي-الإسلامي للجزائر، ردّا على الأيديولوجية الاستعمارية التي اجتهدت في إيجاد أسباب الوجود الفرنسي..."[٣].

أولاً: الفرنسيون وكتابة تاريخ الشمال الإفريقي

١/١-سياسة التشويه التاريخي

لن نتجرأ على اتهام الكلّ، والتقزيم من سمعة كل الباحثين والدارسين الأجانب والفرنسيين بالخصوص، واتهامهم بالإجحاف أو التقصير والتشويه، لأننا قبل كلّ شيء أمام ظاهرة اسمها الاستشراق، ولعل وقفة تأملية بسيطة لواقع الاستشراق والمستشرقين، قد تنير لنا الطريق حول ما نريد أن نقول في هذا العنصر، لكي نكون حذرين من مغبة الوقوع في حكم لم نحتط له جيّدا، فالاستشراق حسب الدكتور ناصر الدين سعيدوني "ظاهرة ثقافية نتجت أساسا عن توسع آفاق المعرفة الأوروبية، ومحاولة العقل الغربي فهم الآخر، والتعامل معه أملا في احتوائه، وتوجيهه، ثم الهيمنة عليه"[٤]، فإنتاج المستشرقين حسبه ينطلق من نظرة موسوعية للثقافة الإسلامية، ويلتزم بالشروط الأكاديمية في البحث التي تقوم على التعمق في تناول المواضيع، ويتوفر على روح المبادرة الفردية، وضمان حرية البحث[٥].

فيمكننا القول بأن إيجابيات الاستشراق، وحتى الدراسات التي قام بها باحثون أو مهتمون مدنيين كانوا أو عسكريين كثيرة جدًا، فلقد تركت لنا هذه الدراسات حقيقة تراكمًا معرفيًا كبيرًا ليس من السهل تحصيله اليوم، ولكن مع ذلك لم تخلو تلك الدراسات من سلبيات ونقائص ووصولاً إلى اجحافات، وتشويهات عن قصد، وعن غير قصد للتاريخ الإسلامي عمومًا والمغاربي خصوصا، فكتابات المستشرقين لم تكن تعدو في العديد منها كتابات السائح الغريب، أو المستكشف الجاهل بحقائق الأشياء، وهي في العادة نظرة من الخارج، تهدف إلى تكوين صورة عن العالم الإسلامي حسب الرؤية الغربية، مما جعلها تخرج باستنتاجات لا تتماشى مع المعطيات التاريخية، ولا تعبر عن المناخ الحضاري للأمة الإسلامية، لأنها تنطلق من قيم أوروبية، وليس من خصوصيات الحضارة الإسلامية، وهو ما جعل هذه الدراسات الاستشراقية تغض الطرف عن وحدة الأمة، وتركز على خصوصيات الشعوب وهوية الجماعات والأفراد[٦]، وهو ما أفقدها النظرة الموضوعية في كثير من الأحيان ، ومع ذلك فإنه في رأينا لا يجوز لنا أن نسود كل شيء والعكس، ولكن ما يجب أن نقوله، هو أن الفرنسيين خاصة تعاملوا مع الحالة الجزائرية بطريقة جد مميزة في كتاباتهم، لأنهم كانوا أولا وقبل كل شيء، يعتبرون الجزائر قطعة فرنسية، لذلك كان السعي من أجل كتابة تاريخها ممنهجًا ومدروسًا، وبالتالي العمل على رسم خطة طريق للذهنية التي سيكون عليها الإنسان الأهلي(indigène) بعد عقود.

٢/١-نفي صفة الأمّة عن الجزائر

منذ وطأت أقدام الاحتلال الفرنسي أرض الجزائر كان لا بدّ من السعي لمحو شيء اسمه الدولة الجزائرية من الوجود، واحلال نظام جديد محلّ ذلك، لكي لا يكون هناك تفكير في المقاومة، وانشاء دولة جديدة على أنقاض الدولة المفقودة، لذلك ومنذ دخول الفرنسيين

إلى الجزائر فإنهم سعوا إلى تحطيم تاريخ الأمّة الجزائرية، بل وتاريخ وكل شعوب المغرب القديم، وتحكم الفرنسيون في المدرسة التاريخية الجزائرية، "إلى حد يدفع إلى الجزم بأن لا أحد يستطيع اليوم وفي المستقبل القريب أن يحرر دراسات ما قبل تاريخ المغرب من قبضة أساتذة جامعة الجزائر الاستعمارية"[٧]، لذلك دائمًا ما حاولوا تزوير التاريخ المغاربي القديم، ومن ثم الجزائري لإحداث قطيعة تامة مع ماضيه وهويته التي انصهرت عبر العصور، فأصبحت تسمى الجزائر الفرنسية المتكونة من ثلاث عمالات لا أكثر ولا أقل، وأي محاولة لنفي هذه الفكرة كانت تقابل بالقوة، والكتم، وحتى القتل.

ولكن يجب أن نقول بأن عملية التجهيل بدأت من خلال دراسة التاريخ العربي والإسلامي، والاضطلاع على سر القوة التي تمتعت بها الحضارة الإسلامية عبر العصور، ومن ثم العمل على بتر تاريخ الشعوب المستعمَرة وخاصة الجزائر، لذلك لن نحصي أبدًا كمية الدراسات الفرنسية المنجزة حول تاريخ العرب والمسلمين عامة والشمال الإفريقي بالخصوص، فكل المصالح الإدارية والعسكرية والمدنية كانت تقريبا تعدّ بحوثا وتقارير عن الجزائر، وتحاول تطوير وتحيين تلك الدراسات كل مرة بالرجوع إلى المصادر، والمراجع الأجنبية والعربية السابقة التي اشتغلت عليها المصالح السابقة في الهياكل الإدارية والحكومات المتعاقبة، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الجمعيات الجغرافية والأثرية التي كانت تنشط في العمالات مثل وهران والجزائر وقسنطينة مثلاً[٨]، كما نذكر مركز المعلومات والدراسات(CIE)، الذي كان دائما ما يقوم بدراسات تاريخية معمقة، وقد اضطلعنا على عديد تلك الدراسات خلال بحوثاتنا في دور الأرشيف الجزائرية، فعلى سبيل المثال لا الحصر- وقفنا على دراسة بعنوان "بيبليوغرافية العالم الإسلامي"، تطرقت لحياة العرب والأمازيغ في العالم الإسلامي، وأشارت إلى عديد الدراسات، والكتب، والمجلات التي وجب الرجوع إليها، في حال القيام ببحث حول ذلك[٩].

لذلك لم تخل هذه الدراسات من إنقاص وتشويه لتاريخ الجزائر، وشخصياتها، وأدبها، وتراثها، فقد حاول المؤرخون الاستعماريون أن يشوهوا تاريخ ساكنة الشمال الإفريقي بوصفهم بالوحشية والهمجية فكتب بيكار يقول أن: "لا مانع من القول بأن الرّجل الإفريقي متمرد على النشاط التقني بطبعه"[١٠]، كما يقول غوتييه في كتابه "العصور المظلمة للمغرب": "ها هو بلد لا يوجد له اسم معروف عالميًا، ما دمنا مضطرين إلى تحديد اسم له. ذلك لم يكن له وجود سياسي متميز، وبناء على ذلك لم يكتب تاريخه"[١١].

وذهبت جريدة لعمال السكك الحديدية بالقول إلى أن "الإنسان الأهلي ينتمي إلى سلالة دنيا... ولا يمكن أن يصعد بنفسه من خلال جهوده الخاصة ليكون في مستوى الأوروبي... ذلك أن الأهلي هو انسان غشاش، وقذر، ولصّ، ومكار، وجحود... إذن فإهانته هي التي تعلمه أن يصبح طائعًا ومتحضرًا"[١٢]. وقد راح موريس طوريز في هذا الطرح أيضا في خطاب له بتاريخ١١فيفري١٩٣٩، حينما قال بأن الجزائر أمّة في طور التكوين" معتبرًا أن الأمة الجزائرية لم تتشكل بعد لعدم توفر الشروط والمقومات التي حددها ستالين في نظرته القومية، واستدل موريس طوريز في ذلك بوجود ٢٠ عنصر أو عرق بشري في الجزائر، قائلاً بأنه لا يمكن لأي عرق أن يفكر في السيطرة على الجزائر بدعوى أنها أرض أجداده"[١٣]، ومن هكذا نصوص وتصريحات، نلحظ كيف أن الاستعمار لعب على أوتار الهوية الجزائرية(=المغاربية)، وجعلها حقلاً تنظيريًا لسيكولوجيته الاستعمارية، التي كانت تهدف إلى التشكيك في أصول الساكنة المغاربية أولا، ونفي فاعليتهم الحضارية ثانيًا[١٤].

كما أن الدارس لعديد الكتابات يجد أنها نفيت تقريبا جميع معالم الحضارة والتطور أو حتى التقدم الزراعي والفلاحي بالنسبة للساكنة المحلية المغاربية، فلطالما فسّر الفرنسيون أن سبب نجاح سكان المغرب القديم في الزراعة أو الملاحة، إنما مرده إلى الفينيقيين والقرطاجيين، والفترات الاقتصادية الزاخرة التي عرفوها كانت بسبب الرومان قديما والفرنسيين حديثًا[١٥].

٣/١-تشويه تاريخ العرب والعروبة والإسلام

راحت الكتابات التاريخية الفرنسية تشوه صورة العرب والمسلمين الذين فتحوا الشمال الإفريقي وانتزعوه من أيدي الروم، فقد غالى عديد المؤرخين ذوو القراءات الاستعمارية في ذلك، وأكدوا على أن السكان البربر الأصليين لم يقبلوا بالإسلام ولا بالعروبة، ودخلوا فيه بحد السيف على حد تعبيرهم، فهذا وليام مارسي يقول في إحدى كتاباته: "... في كلتا الحالتين غزا المشرق هذا الجزء من الغرب"[١٦].

فالأحكام التاريخية التي أطلقت على الفترة الإسلامية في الجزائر، وعموم الشمال الإفريقي، كانت تقول بأن تلك المرحلة هي مرحلة فوضى، وتخلف،

وتفكك، وجمود فكري، معتبرة أن الزحف العربي الهلالي إلى المغرب في القرن الحادي عشر الميلادي كان استعمارًا، ولم يخلف إلاّ البداوة، بأن أتى على الحواضر العلمية والفكرية بالجزائر[١٧]، وفي هذا المجال اعتبر "غوتييه" أن الازدهار الروماني في شمال افريقيا توقف بسبب العرب وليس بسبب الوندال والبيزنطيين[١٨]، وأن الجزائر ماهي إلا جزء لا يتجزأ من الغرب الأوروبي، وقد عاشت عصورا مظلمة تحت حكم المستبدين المشارقة المسلمين، قبل أن يعيدها الفاتحون الفرنسيون المتحضرون والإنسانيون إليهم[١٩]، والكتابات الفرنسية الممنهجة والمدروسة، كانت تقول بتخلف المرجعية الإسلامية التي انعكست سلبا على سلوك الإنسان العربي، فالعرب المسلمون لهم صفات هجينة، وسمات توارثوها أبا عن جدّ من دينهم، والمجتمع العربي في منظور "أ. بوميل": "ذلك المجتمع كما كان قديما، وكما وجدناه في السهول الكبرى للجزائر، فهو رهين الجمود، وغير قادر على الإنتاج الفكري...وهي صفات ملازمة له"[٢٠].

وطرح الفرنسيون بالمقابل بديل الحضارة الرومانية، حينما حاولوا إحياء كنيسة افريقيا الرومانية منذ دخولهم إلى الجزائر، ومنها الاحتفالات المئوية الاستفزازية سنة ١٩٣٠، واحتفاليات سنة ١٩٣٩، التي كانت تعمل تحت شعار:" إن العرب لا يطيعون فرنسا إلاّ إذا أصبحوا فرنسيين، ولن يصبحوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين"[٢١].

وحتى عندما كانوا يقفون أمام عقدة واشكالية كيفية استطاعة الجنس العربي الذي تربي في الجزيرة العربية إيصال رسالته إلى مختلف الأمصار، فإنهم كانوا يحاولون اختلاق مبررات وحجج لذلك، فقد اعتبر "رينان" أن ذلك كان منعطفًا تاريخيًا أو مجرد قدر اتسم بالسلبية لا غير فيقول: "شاءت العوارض التاريخية أن تصبح الديانة الإسلامية ملكية لأجناس مندفعة إلى التعصب على غرار الإسبان، البربر، الفرس، الأتراك، لقد اتخذت تحت هذه الأيدي الجديدة، ملامح دوغماتية وقطعية عقائدية، تتميز بالتقشف والإحصاء... بمرور الزمن صارت الديانة الإسلامية تزداد انفلاتا من التبعية للجنس العربي، وهو جنس ارتيابي"[٢٢]، كما صرح المستشار غاسير(gasser)، بأن الجزائري سيبقى متخلفا ما بقي بالإسلام متمسكًا، ولن يتطور الجزائري مادام مسلمًا، لأن الدين الإسلامي غير متلائم مع التطور"[٢٣].

فكل شيء أصبح في الجزائر الفرنسية يسخر من العرب، والإنسان العربي، ووصل ذلك إلى تشويه صورة الرسول "محمد عليه الصلاة والسلام"، فقد كانت تصدر مجلات وجرائد، مثل سلسلة "كاقايوس"، وتفرد قصص مخصصة لذلك، فأحمد أو محمّد، هو شخص غبي، وساذج، وقذر، وهمجي، أما "فاطمة" فهي قليلة أدب، لذلك فإن الشيء العربي دائما ما يتميز بالسوء ومجلب للضحك، وهو وحشي، وفقير، وغشاش، وشهواني، كما أن العمل العربي أو الحكاية العربية يتميزان بالرداءة ويفتقدان للجمالية [٢٤].

ثانيًا: الكتابة التاريخية الجزائرية: المقاومة والدعوة إلى الوحدة المغاربية في إطار الأمة العربية الإسلامية

١/٢-عملية التأريخ عند رجال الإصلاح

إن السياسات الفرنسية الثقافية المنتهجة في الجزائر، وعملية التشويه التي طالت التاريخ الجزائري لقرون، استدعت من النخب الوطنية والفكرية الجزائرية وقوفا مستميتا من أجل رد الاعتبار إلى التاريخ المشوّه من قبل المدرسة الفرنسية، ولعل الحركة الإصلاحية بعلمائها ومثقفيها كانت سباقة في هذا المجال، فحمل رجالها همّ البحث والتنقيب في المكتبات، ودور المخطوطات من أجل التحصّل على المادة المعرفية الأولى أو الخام، ومن ثم تمحيصها والتحقيق فيها، وتقديمها للقارئ في أساليب سهلة ومبسطة[٢٥]، وفيما يلي سنتعرض لأهم تلك الكتابات.

(١/٢) ١-أحمد توفيق المدني (رائد المدرسة التاريخية المغاربية):

من بين الشخصيات التي أعطت دفعا قويا للمدرسة التاريخية الجزائرية والمغاربية عموما أحمد توفيق الندني، الرجل الذي عاصر ونشط كل المراحل ابتداءً من الحركة الوطنية إلى الثورة وصولا لمرحلة ما بعد الاستقلال، فقد اشتغل في فترة حرجة جدا من تاريخ الجزائر، فمنذ العام ١٩٢٥ نشط في إخراج عديد الإنتاجات التاريخية، وصدر ذلك في عديد المجلات والجرائد، ومنها ما طبع على شكل كتب [٢٦].

ويقول الدكتور عبد الكريم بوصفصاف رحمه الله عن شخص المدني[٢٧]: "لعل المؤرخ الجزائري الذي جمع بين الذاتية الجزائرية والإقليمية المغاربية في كتاباته التاريخية، هو أحمد توفيق المدني، كاتب القطرين، وهو من طلائع المؤرخين الجزائريين الذين بدأوا يبحثون في التاريخ قديما وحديثا ومعاصرا في

العشرينات"، واعترافا بدوره الهام أيضًا كتب الدكتور عبد المالك مرتاض منوّها يقول[٢٨]: "يجب أن يعده التاريخ أحد المؤرخين الجزائريين، الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصيبة جدًا، فلم يكد يفتر عن البحث في القضايا التاريخية التي تتصل بالشعب الجزائري منذ أن بدأ هذه البحوث سنة ١٩٢٥...فإن فضل المدني على التاريخ الوطني الجزائري إذن عظيم"، كما تقول فيه الدكتورة أنيسة بركات درار:"...من الرواد القلائل الذين رافقوا سير الحركات السياسية والإصلاحية والثورية بالشمال الإفريقي...إنه كاتب ممتاز وخطيب مصقع، له مؤلفات قيمة في التاريخ والجغرافيا وله مقالات شيقة في مناهضة الاستعمار..."[٢٩]. ويعرف أحمد توفيق المدني التاريخ قائلا: "التاريخ في نظري عرض وتحليل وتعليل وحكم، فالمؤرخ الحق إنما هو حاكم نزيه، حرّ الضمير، يدرس الوثائق والمستندات، ويستخرج الحقائق من بين النصوص، ويستمع بإمعان إلى ما يقوله هؤلاء وما يقوله هؤلاء، ثم ينظر الملابسات ويدرس المحيط، فإذا ما أسفر أمامه وجه الحق ناصعا أصدر حكمه عادلا لا عاطفة، ولا رياء، ولا محاباة"[٣٠].

والحق أن هذا المؤرخ بحث في كثير من المواضيع التاريخية المتفرقة، وهذا ليس معناه أنه حاول أن يجوب بفكره مجاهل التاريخ الإنساني العام، فذلك مالم يكد يتاح لمؤرخ جزائري في النصف الأول من القرن العشرين، إنما معناه أن الرجل كان ولعا بالدراسة التاريخية التي تتصل بالجزائر إذ أنه من العسير على أولئك المؤرخين الجزائريين أن يصرفوا وجهتهم إلى التاريخ الإنساني العام، من حيث أن تاريخهم نفسه بحاجة إلى البعث والإحياء، حيث أن تاريخ الجزائر كتب من وجهة نظر واحدة، وهي استعمارية بحتة، حيث كلف المستشرقون وغير المستشرقين من الفرنسيين وغيرهم بكتابة هذا التاريخ [٣١]. فالمدني بذلك حرر مؤلفات جد قيمة، فتحت آفاقا عريضة وواسعة، شكلت قطيعة كاملة بالنسبة للمنشورات التقليدية في ميدان تاريخ الجزائر والمغرب العربي، وأثبت من خلال هذه الكتابات أن الجزائر هي جزء مغاربي وإفريقي وعربي إسلامي، ويمكننا تتبع أعماله على النحو التالي:

- تقويم المنصور:

جاء في شكل مجلة، وشمل خمسة أجزاء، أصدرت الثلاثة الأولى منه بتونس بداية من العام ١٩٢٢، وأصدر الجزأين الرابع والخامس في الجزائر سنوات ١٩٢٦-١٩٢٧[٣٢]، ويقول عنه المدني: "كانت مادته العلمية غزيرة، ومادته الأدبية وافرة، وقد ضمنته بحوثًا ضافية ممتعة عن المدنية العربية وعن العالم الإسلامي، وكان اقبال الشعب عليه عظيمًا، خاصةً بالقطر الجزائري" وقد حجزت نسخه في كل من الجزائر والمغرب، ورفض تداوله [٣٣]، وقد كتبت الشهاب عن المؤلف تقول: "أهدى إلينا صديقنا الكريم الكاتب الشهير السيد أحمد توفيق المدني نسخة من تأليفه النفيس –تقويم المنصور- الذي كنا قد نوهنا به قبل صدوره، فكان فوق ما نوهنا علم حي، وأدب غض، وتاريخ قومي ومختارات نفيسة، وقطع فائقة في ستة عشر بابا..."[٣٤].

- قرطاجنة في أربعة عصور:

صدر عام١٩٢٧ بتونس، تناول تاريخ إفريقيا الشمالية خلال أربعة قرون تحت حكم قرطاجنة، وعن دوافع تأليف هذا الكتاب ذكر المدني أنها جاءت استجابة لإرادة بعض أقطاب الحركة الإصلاحية [٣٥]، بحيث طُلب منه الردّ على مزاعم بعض الكتاب الغربيين والفرنسيين، الذين قاموا بدعاية مشوهة لهوية وأصالة منطقة المغرب العربي [٣٦]، ويقول المدني عن الكتاب: "أنجزت تحرير الكتاب وتنقيحه وتبييضه، واخترت له أبدع الصور الأثرية التي لم يسبق نشرها إطلاقًا في اللغة العربية، وطبعت له مصورًا جغرافيًا لكامل المغرب العربي كبير الحجم، واضح الشكل، كتب بخط الأخ عمر راسم، وقدمته للطبع بتونس في دار المطبعة الأهلية، ثم أعلنت عنه في الصحف بالشمال الإفريقي"[٣٧].

- كتاب الجزائر:

ألزم المدني خمس سنوات من العمل، ظهر عام ١٩٣١ تزامنا والاحتفالات المئوية الاستفزازية الفرنسية في الجزائر، اعتبره أبو القاسم سعد الله بأنه كان بمثابة كتاب الجيب بالنسبة لتاريخ الجزائر، وبالرغم أنه لم يكن كتابًا تاريخيًا حين صدر[٣٨]، إلا أنه أحدث ضجة كبيرة بين الأوساط، فكان فتحًا مبينًا، كشف الزيف الاستعماري، وسجل تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى سنة ١٩٣٠[٣٩]، وقد جاءت لغة وأسلوب وعاطفة الكتاب كلّها في صالح الهوية العربية الإسلامية للجزائر[٤٠]، ووصلت توفيق المدني بعد تأليفه أكثر من ٥٣٣ رسالة تثني عليه، كما كتب عنه عدة رجال سياسة وعلم وأدب على غرار الأمير شكيب أرسلان، والدكتور حسين مؤنس، والدكتورة عائشة عبد الرحمن...الخ [٤١]، ويكتب المدني في مستهلّه قائلاً: "إليكم أيها الشبان

المسلمون الجزائريون في أرض الجزائر الكريمة... إنكم ترون كما رأيت، أن أبناء العربية في الجزائر يجهلون عن الوطن الجزائري كل شيء... تاريخه... طبيعته... نظمه وقوانينه... عناصر سكانه... حالته الأدبية وقوته الاقتصادية... ها أنا ذا يا شبان المسلمين أقدم لكم كتاب الجزائر...فتقبله من أيها الشاب المسلم الجزائري... تذكر ولا تنس أن الجزائر لا تسعد إلا إذا عملت في دائرة دينها ولغتها و قوميتها"[٤٢].

- المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا:

صدر في بداية الأربعينات، كلّف المدني سنة كاملة من العزلة والبحث والتحرير، وكان كتابًا لعموم العالم العربي، لمعرفة تاريخه وجغرافيته، فتطرق للفتوح الإسلامية في صقلية، التي اعتبرها المدني أنها افريقية أكثر مما هي أوروبية، ولما انتهى منه ونشره، تقبله التونسيون والجزائريون والمراكشيون بابتهاج كبير، وقد كتبت عنه الصحف والمجلات أيضًا معرّفة به ومثنية عليه، كما قرأه المستشرقون ناقديه إياه ومنوهين به[٤٣]، وقد ذكر المدني دوافع تأليفه فقال: "صفحة التاريخ الإسلامي بصقلية لم تكتب بعد، ولم يقيض الله لها من يفرد بها بدراسة قيمة...فيكاد يخيل إليك وأنت تتلو كتب التاريخ القديمة أن مقام المسلمين بصقلية ما كان إلا سلسلة حروب وفتن واضطرابات، وتلك لعمري هفوة من مؤرخينا علينا تداركها، وعلينا أن نسد هذه الثلمة في هيكل تاريخنا القومي العربي"[٤٤].

ولعلنا نقول بأن كتابات المدني، ماهي إلا جزء من نضاله ومقاومته للاستعمار في الجزائر، وبلاد المغرب العربي، وعموم العالم الإسلامي، فالقارئ لكتابات المدني يلاحظ موضوعيته الكبيرة في دراسة الأحداث، ومنهجيته التاريخية السليمة مقارنة بكتابات أخرى في ذلك العصر، فقد استغل قدراته وامكانياته للتعريف بالحالة الحاضرة في الجزائر والعالم الإسلامي، فطرحها من زاوية تاريخية مبتغيا في ذلك إثارة وتحفيز أصحاب الهمم للثورة ضد الأوضاع القائمة[٤٥]، فقاوم المستعمر الفرنسي بنفس سلاحه تقريبًا وهو التاريخ، فالأول سعى لتشويه وطمس وتزوير التاريخ والثاني سعى لإبراز وتصحيح وترسيخ التاريخ، ولعل المادة التي أخرجها المدني التي قدمها لجيله وللأجيال اللاحقة، كانت كفيلة ببعث روح الوحدة المغاربية الضائع مجدها، والتشبث بالمجال العربي الإسلامي والإفريقي لميز العالم الشرقي عن الغربي في كلّ شيء، وإقرار قاعدة أن الوجود الأوروبي في الشمال الإفريقي والمستعمرات الأخرى ما هو إلا حرب على الإسلام، والعروبة، والثقافة، وامتصاص الخيرات، وتطبيق سياسة غلبة القوي على الضعيف، فالمؤلّفات دحضت كل تلك الشائعات التي تقول أن الأوروبيين أتوا بالحضارة إلى هذه الضفة، لذلك كانت كتابات أحمد توفيق المدني في نظرنا ليست مدرسة تاريخية فقط، بل مدرسة وطنية ووحدوية مغاربية، وعربية اسلامية بامتياز وجب علينا قراءة انتاجاتها من جديد، لاستنباط الروح والحماسة الجماعية منها.

(١/٢) ٢-محمد بن مبارك الميلي [٤٦]

من بين الجزائريين الذين وقّعوا حضورهم لكتابة التاريخ الجزائري والمغاربي عمومًا المؤرخ الشيخ محمد بن مبارك الميلي، فقد ألف كتابًا يعتبر الأول من نوعه، وهو تاريخ الجزائر بشكل عام فتطرق فيه بشكل جيد لمختلف العصور التي مرّت بها الجزائر[٤٧]، وعنونه ب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" [٤٨]، وقد جاء في جزأين، رادّا على مزاعم الفرنسيين الذين نفوا وجود الأمة الجزائرية، ولم يعترفوا أبدا بوحدة المغرب العربي الجغرافية والتاريخية التي انصهرت مكوناتها بدخول الإسلام، صدر الجزء الأول منه سنة ١٩٢٨ والثاني في ١٩٣٢[٤٩]، ويقول الميلي في إهدائه الأول: "... إن الإرادة الحقيقية التي بيدها رفع مستوى الأمم هي إرادة الشعب، فقد صار الكُتّاب يهدون لشعبهم أو لعظيم من عظمائه هو رمز لذلك الشعب، ونحن نهدي كتابنا هذا إلى الشعب الجزائري، إلى شبابه المفكر، ورجاله العاملين المخلصين".

وما إهداء كهذا إلا دليل على أن الميلي كان على دراية بأن الجزائريين يجهلون تاريخهم تماما، وهم بأمس الحاجة إلى هذه الأعمال، فأراد أن يثبت أن للجزائر تاريخا وحضارة، تندرج ضمن حضارة المغرب العربي العريقة، المنضوية تحت لواء الأمة العربية الإسلامية الكبيرة، فنجده في الكتاب يذكر كل المراحل التاريخية التي مرت بها، بدءًا من تشكل جغرافيتها الطبيعية، ومارا بجميع العصور والدويلات التي حكمتها، وإلى غاية نهاية العصر الوسيط، فاعتمد التبويب وتقنيات البحث الحديثة في تلك الفترة، فبدت الجدية واضحة في عمله، كما بدت الوطنية أكثر وضوحًا في المؤلّف، الذي اعتبر صاحبه أن الفرنسيين هم أجانب(=محتلين) سواءا كانوا مدنيين أو عسكريين[٥٠]، وقد اعتمد في كتابه على مصادر ومراجع أجنبية وعربية، غالبها كان في الجزء الأول

خاصة لمّا أظهر الهوامش، ويذكر الميلي أن أحمد توفيق المدني، وعمر دهينة ساعداه كثيرا في عملية الترجمة في العربية إلى الفرنسية[٥١]، وقد كتبت جريدة النجاح قائلة عن مؤلفي الميلي والمدني: "إن المؤلفين قد أزالا الحجاب الذي كان يحجب تاريخ آبائنا، وأعاد الحياة إلى تراث أجدادنا"[٥٢]، كما ذكرت الشهاب خبر طبع جزئه الثاني بالطبعة الإسلامية الجزائرية التي تُطبع بها الشهاب[٥٣].

(١/٢) ٣-الشيخ عبد الرحمن بن محمّد الجيلالي [٥٤]

ألف الشيخ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي كتابا بعنوان "تاريخ الجزائر العامّ"[٥٥] سنة ١٩٥٣، وجاء في جزءين، تناول فيهما التاريخ الجزائري من العصور القديمة إلى العهد العثماني، وكانت دوافعه وطنية هو الآخر[٥٦]، بحيث أهداه إلى فاتح شمال افريقيا عقبة بن نافع الفهري فقال: "باسمك اللهم أتشرف برفع كتابي هذا وإهدائه إلى مقام رفعة حامل قبس الهداية الإسلامية إلى هذه الديار، ومنقذها من وصمة الكفر والعار والمُعلي فيها كلمة الله، والمجاهد في سبيل الله، إلى فاتح افريقية، وقاهر القوات الرومانية، و كاسر عادية البيزنطية، إلى مزلزل أقدام القياصرة، وهازم جحافل الجيوش الأباطرة، ومارك البرابرة، إلى روح ذلك البطل الخالد والأمير الفاتح العظيم، مفخرة الجزائر، ودرة تاج تاريخ الجزائر مجدها في الحاضر والغائب سيد الشهداء عقبة بن نفع الفهري رضي الله تعالى عنه"[٥٧]، فعلى البرغم من أن عبد الرحمن الجيلالي يلتقي مع المدني والميلي في الرؤية الوطنية للتاريخ وتوظيفه لصالح الحاضر[٥٨]، إلا أنه ركز في كتابه على الفترة الإسلامية كثيرا، وخصص ٨٤ صفحة فقط لما قبل الإسلام عكس المدني والميلي، وكان ذلك لعدة أسباب من بينها الرد على ما كتبه المؤرخ الاستعماري "قوتييه" في هذه الفترة، والذي سماها بـ "الفترة المظلمة"، ومقاومة تلك النزعات البربرية التي كانت تظهر في بدايات نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينات، خاصة وأن البعض كان يرى في العرب غزاة لا فاتحين[٥٩]،كما هدف المؤلف أن يقتدي الجيل الجديد بأسلافهم، ولا ينغمسوا في الحضارة الأوروبية، وينسوا ماضيهم الحافل بالقادة والإنجازات[٦٠].

كما يبدو أن عبد الرحمن بن محمد الجيلالي تأثر في هذه الفترة حسب رأينا بنشاط الجامعة العربية في هذا الميدان، والتي كانت مؤتمراتها تسعى لرد الاعتبار للتاريخ العربي والإسلامي، وتمجيد الشخصيات والبطولات والسيّر الذاتية، لذلك ضمّن في كتابه تلك القرارات التي خرج بها المؤتمر الثقافي العربي الأول لجامعة الدول العربية، المنعقد بلبنان بتاريخ ٩ سبتمبر١٩٤٧، والذي من بين ما جاء فيه حول أهمية التاريخ في ترسيخ مشروع الوحدة العربية: "إن المؤتمر يرى إبراز الاشتراك التاريخي، والاتصال الجغرافي التام بين البلاد العربية في قارتي آسيا وإفريقيا، إذا كانت هذه البلاد في العصور القديمة مرتبطة بأوثق الصلات، ثم كانت حقبة طويلة من الزمن وحدة سياسية تضمها امبراطورية عربية عظيمة، كما ظلت في العصور المتأخرة مرتبطة بعضها مع بعض بروابط متينة، وأن الحضارة العربية احتفظت بكيانها وطابعها ووحدتها على مرّ العصور"[٦١].

لذلك كان هذا الكتاب التاريخي وحدويا هو الآخر، وخادمًا لأطروحة أن الجزائر جزء لا يتجزّأ من المغرب العربي، ومن الأمة العربية الإسلامية، لذلك دائما ما كان يثني المؤرخ على دور الإسلام والعروبة في انسجام بلاد المغرب، هذا بالإضافة إلى عبقرية أبنائه وعلمائه الذين توالوا على الدول المستقلة الحاكمة[٦٢]، ونقتبس جملة افتتاحية من الكتاب في جزئه الثاني، يثني فيه على فضل دولة الموحدين على وحدة الشمال الإفريقي(=المغرب الإسلامي) حيث قال عبد الرحمن الجيلالي: "لقد مرّ بنا أن دولة الموحدين استمرت قابضة على صولجان الملك ووحدة الشمال الإفريقي طيلة مدة قرن ونصف، ولقد اكتسب المغرب الإسلامي يومئذ بوحدته هذه بأسا وقوة، تمكن بهما من نشر نفوذه السياسي على بلاد الأندلس"[٦٣].

هذا وقد ساهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس هوّ الآخر ببعض الكتابات القليلة في المجال التاريخي، لكنها مست خاصة تاريخ الصحابة وسيرهم، وبعض القادة المغاربيين والعرب أو المسلمين الذي أثنى على أدوارهم التاريخية، لذلك افتتح بابا في مجلة الشهاب، يُعنى بسير وتراجم الأولين وأخبارهم، وفتح الأبواب لكل الأقلام للمشاركة فيه، فكتب يقول: "هذا باب جديد فتحناه في الشهاب، أردنا منه أن يطلع القراء على تراجم بعض رجالنا ونسائنا من سلفنا الصالح، ومالهم من صفات اكتسبهموها (كذا) الإسلام، وما كان منهم من أعمال في سبيله، ففي ذلك ما يثبت القلب، ويعين على التهذب، ويبعث القدوة، وينفخ روح الحياة، وماحي خلف إلا بحياة سلف، وما حياة السلف إلا بحياة تاريخهم ودوام ذكرهم..."[٦٤]،

والشيخ ابن باديس كان يعلم أن كل البلاء الذي كان مسلطا على الأمة العربية والإسلامية، إنما مردّه إلى أحداث وأخطاء تاريخية متراكمة، لذلك كان دائما ما يوصي بالتشبث بمبادئ السالف الصالح التي تمثل تاريخا وعبرا من أجل التحرر من الاستعمار.

أما الشيخ البشير الإبراهيمي فساهم هو الآخر بمقالاته التاريخية في الصحف والجرائد والمجلات، والتي نجدها في كتابه الآثار ومن جملة ما كتب نذكر: مقاله بعنوان "تلمسان وابن خلدون"[10]، أشاد فيه بحاضرة العلم تلمسان، وعلمائها ومؤسساتها الدينية والفكرية، وما استقطابها لعلماء على غرار ابن خلدون إلا على منزلتها الرفيعة وذلك يندرج دائما ضمن التعريف بحضارة الجزائر والمغرب العربي ، ولعل ذلك مرده لكونه كان مديرا لدار الحديث القلعة القلعة الإصلاحية بتلمسان فتأثر بعمرانها وثقافتها واطلع على تاريخها الشامخ، لذا سعى لتقديمه كمادة تعريفية تثقيفية للقراء، كما كتب في نفس السياق مقالا آخر بعنوان "المسلمون في جزيرة صقلية"[11]، يشيد فيه بالدور الذي لعبه المسلمون الفاتحون وخاصة فاتحي شمال إفريقيا للمنطقة، و يثني على كتاب أحمد توفيق المدني والذي كان ردّا مبينا على الفرنسيين تجاهلوا الأمّة الجزائرية والمغاربية وصنّفوها من الحضارات المتأخرة، كما أن الشيخ الابراهيمي ألّف أرجوزة حول تاريخ الجزائر منذ القدم وإلى فترة كتابتها جاءت في ثلاثة آلاف وستمائة ٣٦٠٠ بيت، لكنها ضاعت إبان الثورة التحريرية، وله أيضًا أربعة محاضرات حول تاريخ الجزائر المعاصر، كان قد ألقاها في بداية الخمسينات بمعهد الدراسات العربية بالقاهرة تحت عنوان "الاستعمار الفرنسي في الجزائر"[17]،ومما جاء في إحدى تلك المقالات حول الاستعمار ومحاولاته لتشويه التاريخ: "الجزائر وطن بربري قبل الإسلام يضم جماهر القبائل البربرية وأصولها الأولى، ووطن عربي إسلامي منذ دخله الإسلام يصحب ترجمانه الأصيل وهو اللسان العربي... ومن السفه لو ادّعى الرومان الذين ملكوها قرونا أنها صارت بذلك رومانية... ومن أسفه السفه دعوى مجانين السياسة من الفرنسيين أنها قطعة من فرنسا"[18].

ولعل التيار الإصلاحي كان سباقا إلى الاهتمام بالتاريخ والكتابة التاريخية، فكل المؤرخين الذي مررنا بهم هم من الإصلاحيين، فكانوا بعملهم ذاك قد حضروا الأرضية لاسترجاع الاستقلال الوطني، ولولا كتاباتهم لما أينعت الفكرة الاستقلالية بشكل جيد، وذلك من خلال الوعي الذي انتشر بين صفوف الشعب والمثقفين خاصة[19]، هذا ويجب الإشارة إلى أن معظمهم لم يكن يرى الجزائر منعزلة أبدا، بل العكس دائمًا ما كانوا يسعون جاهدين لربطها بفضائها المغاربي والعربي والإسلامي والإفريقي، خاصة لما كان الاستعمار يرى أن الجزائر هي ثلاث عمالات تابعة لفرنسا.

٢/٢-عملية التأريخ عند روّاد الاستقلال

تصنف الأدبيات والكتابات التاريخية الجزائرية التيار الاستقلالي عادة في حزب مصالي الحاج منذ نجم شمال افريقيا ثم حزب الشعب الجزائري وبعده الحركة من أجل انتصار الحريات الديموقراطية، ففيما يتعلق هذا التيار فإن قليلين صراحة هم الذين اهتموا بعملية التأريخ خاصة في العشرينات وبداية الثلاثينات، ويعود ذلك في نظرنا لعدة أسباب، ولكن قبل ذلك نستعرض رأي الدكتور سعد الله الذي يقول: "على الرغم من أن التنظيمات السياسية(الأحزاب) كانت أولى بالاهتمام بالتاريخ واستثماره في الحاضر، فإنها كانت في أول أمرها بعيدة عن ذلك، إما لجهل أصحابها بالتاريخ الإسلامي وتاريخ الجزائر بالذات، وإما لابتعادها منذ البداية عن التراث والأصالة وتعلقهما بالفكر الاقتصادي الماركسي- والصراع الطبقي... وكانت الأناشيد السياسية تشير إلى وقائع تاريخية معينة وإلى أسماء شهيرة، مثل يوغرطة، وماسينيسا، وعقبة بن نافع، ولكن الزعماء السياسيين، لم يكونوا يهتمون أو لم يكونوا يعرفون الضروري عن الكتابة التاريخية، ولو من أجل توظيفها في البرامج السياسية لأحزابهم"[20].

من خلال هذا القول يمكننا أن نقول أن من بين الأسباب التي جعلت التيار الاستقلالي يعزف عن الكتابة التاريخية خاصة في بداياته، هو أن غالب الطبقة العمالية التي كانت تشكل نجم شمال افريقيا وحتى حزب الشعب لم تكن مثقفة بما يكفي لتخوض غمار ميدان التأريخ، عكس الحركة الإصلاحية التي كانت تملك كفاءات ومشايخ تخرجوا من الجامعات والمعاهد العربية والإسلامية، وحتى مصالي الحاج رئيس النجم اعترف في بداياته، بأنه كان يجهل الكثير عن المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية، وسقوط دولة الخلافة، وأحداث الشرق وعلاقتها بدول المغرب والاستعمار، كما يعترف بأن درايته كانت سطحية فيها.

لكن مع ذلك يذكر مصالي الحاج أنه سعى إلى معرفة ذلك، في اجتماع له مع مجموعة من المناضلين تناولوا فيه وجوب التطرق لبعض النقاط، كذكر عظمة الحضارة الإسلامية واشعاعها في العالم، وذكر الحضارة العربية في إسبانيا والعرب في "بواتييه"، وابراز عظمة الثورة الكمالية وشخصية مصطفى كمال المرموقة، المبادئ الإسلامية والكفاح من أجل الاستقلال، يقظة العالم العربي الإسلامي [٧١]. إذن لا يمكن أن ننفي بأن التيار الاستقلالي لم يستخدم التاريخ والتأريخ وهو بصدد مقاومة الاستعمار أبدا، بل بالعكس، فلطالما سعى لجلب أساتذة لتدريس التاريخ للمناضلين من أجل وعي أكثر للقضية الوطنية والمغاربية والإسلامية، فعلى سبيل المثال جاء في تقارير لمصلحة المعلومات والدراسات والشرطة، أن حزب الشعب قد كلف المناضل التونسي المدعو "بن فرج محمد" المقيم في مدينة مستغانم "تيقديرت"، بتدريس التاريخ واللغة والأدب العربي ومواد أخرى، وقد كانت هذه الدروس تقدم ابتداءً من الساعة مساءً ويحضرها من ٢٥ إلى شخصًا من أنصار حزب الشعب الجزائري، يستغلون مسائيات رمضان للاجتماع بساحة "تيقديرت" دون لفت الانتباه متذرعين بالصلاة[٧٢].

كما حوت صحف وجرائد التيار الاستقلالي وخاصّة الأمّة والمنار، عدة مقالات، وتقارير عادة ما كانت ترجع إلى التاريخ والحضارة التي كانت تعرفها الجزائر وبلاد المغرب عموما، وتقارنها بالحالة الحاضرة وقت الاستعمار، كما كانت الحركة الاستقلالية توظف التاريخ أيضا، وهي بصدد مقاومة سياسة الإدماج أو التجهيل أو السياسة البربرية على سبيل المثال، فتربط الجزائر بالعروبة والإسلام، والفضاء المغاربي الذي تنحدر منه وتعود إليه. ولعلنا نسوق مثال المؤرخ "محمد الشريف السّاحلي"[٧٣] المحسوب على هذا التيار، بالرغم من أنه مستقل نوعًا ما عنه ولم يكن ينسق مع أعضائه دائما[٧٤]، إلا أنه اهتم كثيرًا بالتاريخ ووظّفه توظيفا لائقا لمقاومة الاستعمار، والدفاع عن الوحدة المغاربية، فقد ألقى محاضرة بعنوان: "مقاومة الوطنيين بالشمال الإفريقي للاستعمار الروماني" بمقر نادي جمعية الطلبة المسلمين الشمال إفريقيين بفرنسا، بتاريخ ١٤ فيفري١٩٣٨، فتحدث عن الأمة المغاربية، رادّا على كلّ الذين كانوا ينفون الشعور المغاربي الوطني المشترك، فتحدث عن يوغرطة وباكوس ودورهما في نشأة ومساهمتهما في التاريخ المغاربي القديم [٧٥].

ويقول محمد الهادي الحسني عن كتابات الساحلي: "إن إنتاج محمد الشريف ساحلي "رسالة يوغرطة " الذي نشر عام ١٩٤٧، و"الجزائر تتهم" عام ١٩٤٩، و"المؤامرة في وجه الشعوب الإفريقية" عام ١٩٥٠، و"الأمير عبد القادر فارس الإيمان" عام ١٩٥٣، فكأنه يحذر كل من له قلب وعقل وعين وينبهه أن استقلال الجغرافيا ناقص، وقد يذهب، إن لم يعزز بتحرير التاريخ... "[٧٦].

ويضيف الحسني حول الملاحظات التي لاحظها في المؤرخ محمد الشريف الساحلي قائلا:" هي نجاته من فيروسات المدرسة الفرنسية القاتلة، فبالرغم من تكونه في هذه المدرسة...فإنه أعمل عقله، وأَنْعَمَ نظره في موادها فتبين له سليمها من سقيمها، وصحيحها من عليلها... وقد تصدى لأحد ضحايا هذه المدرسة الاستعمارية، وهو مولود معمري" وأما الملاحظة الأخرى: "فهي أن محمد الشريف الساحلي لم يكن غِرّا، فلم ينخدع لبعض المؤرخين الفرنسيين الذين يزعمون الانفتاح ويدّعون الأمانة، ومع ذلك لم يسلموا من النزعة الاستعمارية"[٧٧]. لذلك فقد هدف الشريف الساحلي بكتاباته إلى استنهاض العزائم في الجزائر والمغرب العربي، فمن خلال اضطلاعه الكبير على الكتب والوثائق والدراسات المتعلقة بالفضاء المغاربي، يكون قد تشبع بالنزعة المغاربية، خاصة لما ألف كتاب يوغرطة فأصبح بذلك لا يفرق بين الوطنية الجزائرية والمغاربية [٧٨].

هذا وقد وجد الكثير من المناضلين ممن كتبوا مقالات أو حاضروا في التاريخ وغالبيتهم من التيار الإصلاحي والاستقلالي، أمثال أبو يعلى الزواوي، ومحمد علي دبوز وعبد الوهاب بن منصور[٧٩] وكاتب ياسين[٨٠]، وعمار بن سعيد بوليفة...الخ، وكلهم كانوا يعتبرون أن العروبة والإسلام عاملان ساهما في صهر الشمال الإفريقي وتحقيق وحدته، أما فيما يخص التيارات الاندماجية والماركسية فقد كانت محاولاتها في التأريخ للجزائر شبه منعدمة مادام أن غالبيتهم لم يكن يؤمن بوجود أمة جزائرية أصلاً، وإن وجدت فإنها يجب أن تكون في اتحاد مع فرنسا وليس مع بلاد المغرب أو الأمة العربية الإسلامية، ونستثني هاهنا بعض المحاولات في توظيف التراث الإسلامي من طرف البعض مثل فرحات عباس مثلاً الذي حث الفرنسيين على اتباع خطة المسلمين في الرفق بالبربر للسيطرة عليهم واجتناب الطريقة الرومانية في ذلك، ومن ثم

تفـادي الثـورات والحـروب وسـهولة دمـج هـذه الشعوب[٨١].

ثالثًا: بعض مواقف وردود فعل المصالح الفرنسية من حركة التأريخ الجزائرية

بما أن المصالح الفرنسية بشتى فروعها حاولت مرارًا وتكرارًا تشويه التاريخ الجزائري، فإنها لم تتوان عن تضييق الخناق على الكتابات الجزائرية والمؤلفين والمؤرخين، لأن ذلك كان بمثابة وعي يتشكل يوم بعد يوم ويهدد المصالح الفرنسة في المنطقة، فالكتابات التاريخية كانت جزءًا مهمًا من الحركة الوطنية الجزائرية، لذلك كانت التقارير التي ينجزها القادة العسكريون أو حتى الباحثون الفرنسيون، تحذر من تلك الكتابات التي كان رجال الإصلاح خاصة قد بدأوا فيها مع بداية الثلاثينات بغية ردّ الاعتبار للشخصية الجزائرية والمغاربية والمسلمة عموما، ففي إحدى البحوث المقدمة من طرف السيد شرفان "charvin" الذي كان يشغل منصب مدير رئيسي بالأرباع ناية - ايراثن بتيزي وزو، حذر فيه من النشاط الذي يقوم به الإصلاحيون، كما أكد على خطورة المؤلفين التاريخيين لمبارك الجيلالي "تاريخ الجزائر العام"، الذي قال بأن صاحبه يرى بأن الأهالي يعتبرون الشمال الإفريقي أمّة واحدة، وكتاب "الجزائر" لأحمد توفيق المدني، الذي قال عنه أنه قد رفع فيه شعار "الإسلام ديننا-الجزائر وطننا- العربية لغتنا"[٨٢]، خاصةً إذا علمنا أن السلطات الفرنسية في منطقة القبائل خاصة كانت تشن حملات شرسة على العروبة والإسلام، وتسعى لتشويه التاريخ خدمة لسياستها البربرية.

ويذكر أحمد توفيق المدني كيف أن كتبه تعرضت للمضايقة والحجز عدة مرات، فيقول عن كتاب تقويم المنصور: "ما كاد الكتاب يوزع بالمكاتب وتتناوله أكف القراء حتى جاءني الجاسوس الرسمي الفرنسي- الزيتوني... يحمل لي قرارًا من الوالي العام موريس فيوليت مؤرخًا بيوم ٨ فيفري ١٩٢٦ يقتضي- تحجير تقويم المنصور ومنع تداوله وحجز ما يوجد منه في المكاتب... كذلك أصدرت الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب الأقصى أمرها بالتحجير على تقويم المنصور، وحجز ما وجد منه في المكاتب العامة من نسخ، فلم يجدوا منها إلا النّزر اليسير"[٨٣].

وحتى تلك الكتابات الفرنسية والأوروبية المعتدلة أو التي دافعت عن الإسلام والعرب والجزائريين، قد شدد الخناق عليها هي الأخرى، وروقبت وصودرت مثل كتاب قوستاف لوبون وغيره، ففي مذكرة أمنية جاء فيها أن المقيم العام الفرنسي- السابق في تونكين السيد "أوجان يونغ" يكتب كتابات يدافع فيها عن الإسلام ضد الإمبريالية الأوروبية ، وألف كتابًا بعنوان:" الإسلام ومسلمو الشمال الإفريقي"، يدافع فيه عن الأهالي بمناسبة مئوية الاستعمار الفرنسي- في الجزائر، وخمسينية الحماية في تونس، ويضيف التقرير أن "يونغ" مدح الثعالبي والأمير خالد اللذان قاوما الامبريالية الفرنسية، كما دافع عن الفقراء العرب، وأضاف في الأخير أن هذا الكتاب يلقى اقبالاً كبيرًا من الأهالي، ويُتوقع له أن يجد نجاحًا مثل كتاب تونس الشهيدة للثعالبي[٨٤].

خَاتِمَةٌ

يمكن أن نقول في الأخير بأن حركة التأريخ الجزائرية التي نشطت خاصة مع نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات قد أسست لمفاهيم أوضح لمعاني الأمة، والدولة، والأصول، والتاريخ، والثقافة، والمرجعية... فقد شكلت كتابات الرواد الأوائل قاعدة متينة بنى عليها الوطنيون والثوريون مبادئهم فيما بعد، ورسموا وفق برامجها خارطة طريق فيما يتعلق بمصير الجزائر حاضرًا ومستقبلاً، فبالإضافة إلى أن تلك الكتابات كانت سدًا منيعًا ضد محاولات اختراق وتفكيك البنى الاجتماعية والثقافية والدينية الجزائرية، كانت أيضًا حجر أساس في تميتن العلاقات الجزائرية المغاربية والعربية الإسلامية، بدليل تهافت عديد الشخصيات من المغرب والمشرق وحتى من الغرب على تلك الكتابات، فأصبحت بحق أهم المصادر الأولى لكتابة التاريخ، بحيث لا يستطيع أي مؤرخ أو باحث أو حتى هاوي التغاضي عنها أبدًا.

الهَوامِشُ:

(١) أصبح هذا المصطلح يشكل مؤخرًا كثيرًا من اللغط بين المفكرين الجزائريين، فلحد الساعة لم يحصل اتفاق حول المصطلحات التالية (الشمال الإفريقي- المغرب العربي- المغرب الكبير- المغرب الإسلامي-بلاد تامزغا..)، وحتى مصطلح المغرب والمغارب أصبح هو الآخر يشكل مغالطة في الفهم، فالمغرب أصبح يفهم عند المشارقة مثلاً هو المغرب الأقصى، بينما تقصى الدول الأخرى، والواضح أن الدسائس والنزعات البربرية التي دعمت كثيرا من المدرسة الفرنكفونية قد أتت أكلها، فأصبح كثيرون يهاجمون كلّ ما هو عربي لا من أجل التاريخ أو إنصاف البربر أو تاريخهم، ولكن من أجل مهاجمة العرب والإسلام لا غير، لذلك حاولنا التوفيق بين كلّ هذه المصطلحات في هذه الدراسة واستعملناها كلها تقريبًا حسب إطارها الزماني والمكاني.

(٢) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٧، دار البصائر، ط٦، الجزائر،٢٠٠٩، ص٣٠٦.

(٣) أحمد عبيد، **التاريخ الجزائري: نقد وتقييم-حالة الجزائر العثمانية**، مجلة انسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية،2010، نشر في الإنترنت ٠٩ août 2012 ، تاريخ الاطلاع ٠٤ janvier 2017. URL : http://insaniyat.revues.org/4843 ; DOI : 10.4000/insaniyat.4843

(٤) ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية**"، عالم المعرفة، ط٢، الجزائر،٢٠٠٩، ص٥٠٥.

(٥) نفسه، ص٥٠٧.

(٦) نفسه، ص٥٠٨.

(٧) أمحمد مالكي، **صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية**، الملتقى الدولي: الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي،٣٠-جويلة/ ٢٠٠٦، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، ص١٦٧.

(٨) تحتوي مثلاً مكتبة البلدية بوهران "أحمد زبانة حاليا"، على كم هائل من الدراسات حول الجزائر والشمال الإفريقي، وهي تفيد الباحث كثيرًا في هذا المجال، باحتوائها على الجرائد والدراسات التاريخية النادرة.

(9) AWO (directions archives de wilaya d'Oran), boite 2260, dossier 15, (CIE) Oran, bibliographie du monde musulman, sans date.

(١٠) محمد الميلي، **المغرب العربي في منظور المؤرخين الاستعماريين**، مجلة الثقافة، ع١٢، جانفي١٩٧٣، ص١٦.

(١١) نفسه، ص١٧.

(١٢) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج٤، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ١٩٨٤ ص٩٤.

(١٣) رابح لونيسي، **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، بين الاتفاق والاختلاف (١٩٢٠-١٩٥٤)**، دار كوكب العلوم، ط١، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ص٣٤٨،٣٤٩.

(١٤) امحمّد مالكي، **صورة المغرب العربي**، المرجع السابق، ص١٦٩.

(١٥) محمد الميلي، المرجع السابق، ص١٧.

(١٦) نفسه، ص١٦.

(١٧) ناصر الدين سعيدوني، **منطلقات وآفاق**، المرجع السابق، ص٧٩.

(١٨) محمد الميلي، المرجع السابق، ص١٧.

(١٩) ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، ج١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص٥٣.

(٢٠) فريد حاجي، **السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر(١٨٣٧-١٩٣٧): المنطلق-السيرورة-المآل**، دار الخلدونية، الجزائر، ٢٠١٣، ص١٥١.

(٢١) ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق**، المرجع السابق، ص٧٥.

(٢٢) فريد حاجي، المرجع السابق، ص١٥٢.

(٢٣) شاوشي حباسي، **من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر، (١٨٣٠-١٩٦٢)**، دار هومة، الجزائر، (د.ت)، ص٤٠

(٢٤) راجع: حول الثقافة الشعبية وتحقير العربي: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج٤، المرجع السابق، ص٥٩-٧٣.

(٢٥) لم يكن بالإمكان اعتماد الطرق التقليدية القديمة التي كان يكتب بها مؤرخو القرون الوسطى أو الحديثة، لأنها قد لا تلاقي رواجًا أو مقروئية لدى العامة التي كانت ثقافتها جدّ محدودة، فقليلون هم الذين كانوا يقرؤون ويهتمون بالتاريخ، وذلك جراء سياسات التجهيل الفرنسية التي خلقت القطيعة.

(٢٦) عبد القادر خليفي، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر(١٨٩٩-١٩٨٣)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠٠٧، ص١٠١.

(٢٧) عبد الكريم بوصفصاف، **المؤرخون الجزائريون ومنهجية الكتابة في الحركة الوطنية في عهدي الاحتلال والاستقلال**، أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر حول: منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، سبتمبر١٩٩٨، ص٤٦.

(٢٨) عبد المالك مرتاض، **نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(١٩٢٥-١٩٥٤)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط٢، الجزائر ،١٩٨٣، ص٢١٩.

(٢٩) أنيسة بركات، **محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،١٩٩٥، ص ص٢٥٨،٢٥٧.

(٣٠) أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (١٤٩٢-١٧٩٢)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص٨٠.

(٣١) عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص٢٠٧-٢١١.

(٣٢) عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص١٠٤.

(٣٣) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج٢، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط٢، الجزائر،١٩٨٨. ص٨١.

(٣٤) الشهاب، المجلد ٢، السنة ٢، العدد٥١، ٢٦ أوت ١٩٢٦، ص٢٧٥،٢٧٦.

(٣٥) يقول المدني: "جاءتني مئات الرسائل من ابن باديس والميلي وغيرهم، وممن عرفت من رجال قسنطينة وبسكرة وتلمسان، وعنابة ومن فاس ومراكش والرباط ومن تونس، وأغلب مدن مملكتها، رسائل نثرية، حافلة بالإعجاب والثناء. لا أزال اعتز بها ومحتفظا بها كذخيرة من أثمن ذخائر الحياة". المدني، حياة كفاح، ج٢، ص ١٠٩. نتمنى أن تكون هذه الرسائل التي تحدث عنها المدني لازالت موجودة عند عائلته، فالرسائل من الأدبيات الهامة في عملية التوثيق التاريخي، فيمكنها أن تطلع الباحثين أكثر عن الحركة الثقافية الجزائرية في هذه الفترة، ومراسلات الشخصيات المغاربية فيما بينها، خاصةً وأن المدني قال إنها بالمئات.

(٣٦) عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص ١٠٦،١٠٧.

(٣٧) أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص١٠٧.

(٣٨) شبّهه الراحل سعد الله بكتاب المرآة لحمدان خوجة، خاصة لما كان ضعيفا من حيث الجانب التاريخي، وركز على النظام الإداري، والقضائي والمحاكم، والحالة الاقتصادية والاجتماعية، وأبرز المدن وعدد سكانها، والحياة التعليمية...الخ. انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج٧، المصدر السابق، ص ٤٢٢.

(٣٩) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج٢، المصدر السابق، ص١٩٨.

(٤٠) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٧، ص٤٢٢.

(٤١) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٧.

(٤٢) أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، (آثار أحمد توفيق المدني)، دار البصائر، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ص١٧-١٩. في مذكرة أمنية جاء أن المدني طلب من مصطفى بن شعبان أن يبحث له عن طوبوغرافي تونسي من أجل مساعدته في الكتاب. انظر:

A.N.T (archives national de Tunis) série: mouvement national، carton ٢٣, dossier n°3, Note n°21-05: politique musulmane, information divers: d'ampliation à la résidence générale intérieure, Tunis le 3 janvier 1930.

(٤٣) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج٢، ص٣٤١-٣٤٣.

(٤٤) أحمد توفيق المدني، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط٢، الجزائر،١٩٨٥، ص٤.

(٤٥) كانت السلطات الفرنسية تراقب كتابات المدني وتصريحاته أو دعايته لكتبه، فقد صرح في إحدى الاجتماعات أن من خلال كتابه الجزائر، بين للجزائريين أن لهم مكانة محترمة في تاريخ العالم، داعيًا إياهم للعمل الوطني منذ١٩٢٩ والسنوات التي تلت. انظر:

CAOM (centre d'archives d'autre mer -Aix en province-France), bobine A46, 25h32، dossier n°12: A/S : d'une réunion chez tewfik el Madani, rapport de 14 octobre 1938.

(٤٦) هو **مبارك بن محمد بن مبارك الهلالي الميلي** (١٨٩٨-١٩٤٥): مؤرخ، كاتب، ومناضل من رجال الإصلاح، ولد في الميلية بالقبائل الصغرى، تيتم وهو في سن الرابعة من عمره، دخل لتعلم القرآن على يد الشيخ احمد بن الطاهر مزهود، وكان حفظه لكتاب الله في أولاد مبارك، انتقل بعد سنوات إلى زاوية الشيخ الحسن بسيدي خليفة، ثم إلى مدرسة الشيخ محمد الميلي المعروف بابن معنصر فوجد فيها ضالته ولبث فترة (١٩١٢-١٩١٨)، توجه بعد ذلك إلى قسنطينة للتعلم على يد ابن باديس. ذهب بعدها إلى تونس فتخرج من الزيتونة بشهادة التطويع، ثم عاد على الجزائر، ويرى سعد الله أنه في هذه الفترة عكف على التأليف أكثر من التدريس رغم أنه كان شابا في الثلاثينات من عمره، انتقل إلى الأغواط وكان من رجال الإصلاح بها، وقد ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، له عدة كتابات على غرار تاريخ الجزائر في القديم والحديث الذي نحن بصدد التعريف به، ورسالة الشرك ومظاهره الذي كان ينشر على شكل مقالات أو فصول في الشهاب والبصائر، ومقالات وآراء أخرى حول الجزائر والعالم العربي الإسلامي والإصلاح...الخ. راجع للاستزادة عنه: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٧، المصدر السابق، ص٤٠٩-٤١٣. أيضًا: عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط٣، بيروت، لبنان،١٩٨٣، ص ٣٢٥.

(٤٧) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٧، المصدر السابق، ص٤٠٩.

(٤٨) مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم وتصحيح: محمد الميلي (مؤخرًا)، تقع الطبعة التي استعملناها في جزئين، وله عدة طبعت لدور نشر مختلفة، وقد استعملنا نحن طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب (د.ت). ونشير إلى أن ابنه محمد الميلي قد واصل الكتابة عن أبيه الذي توقف في الجزء الثاني، وقد بدا في كتابة الجزء الثالث لكنه توقف وترك منه عشرين صفحة فقط، وأكمل ابنه محمد الميلي (توفي ٨ديسمبر٢٠١٦) هذا الجزء وخصصه للحكم العثماني في الجزائر. انظر: مبارك بن محمد الهلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج٣، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ١٩٦٤، ص٨،٧.

(٤٩) رابح لونيسي، المرجع السابق، ص٣٦٤. سعد الله يرى أن الجزء الأول صدر في ١٩٢٩.انظر: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٧، ص٤١٤.

(٥٠) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص٤١٦.

(٥١) مبارك الميلي، المصدر السابق، ج١، ص٧. أيضًا: المدني، **حياة كفاح**، ج٢، المصدر السابق، ص٢٠٩.

(٥٢) نور سلمان، **الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير**، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر،٢٠٠٩، ص١١٧.

(٥٣) **جريدة الشهاب** (لإبن باديس)، المجلد ٨، السنة ٨، الجزء ٥، ماي١٩٣٢، ص٣٢٣.

(٥٤) ولدعام ١٩٠٦ أو عام١٩٠٨ في الجزائر، درس كتاتيب ومساجد الحي، ثم انقل إلى المسجد الكبير، وجامع سيدي رمضان ومسجد علد الرحمن الثعالبي بالعاصمة، تتلمذ على خيرة علماء ذلك العصر أمثال الشيخ عبد الحليم بن سماية والشيخ المولود الزريبي الأزهري، والحفناوي صاحب تاريخ الخلف، والشيخ محمد بن أبي شنب، ومع كلّ هذا كانت ثقافته عصامية حسب سعد الله، فقد تعمق في القرآن، والحديث، والأدب، والتاريخ، والفقه، وتولى بدوره التدريس في مدرسة الشبيبة الإسلامية أثناء إدارة الشاعر محمد العيد آل خليفة خلال الثلاثينات، له بعض الإسهامات القليلة في الشهاب، وله كتاب تاريخ الجزائر العام الذي ندرسه في المتن، وكتاب آخر بعنوان "ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب" الجزائر١٩٣٢. انظر عنه: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٧، ص٤٢٣،٤٢٤.

(٥٥) استعملنا نسخة: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج١-ج٢، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط٢، ١٩٦٥.

(٥٦) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٧، المصدر السابق، ص٤٢٣.

(٥٧) عبد الرحمن الجيلالي، المصدر السابق، ج١، ص١٢.

(٥٨) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٧، المصدر السابق، ص٤٢٣.

(٥٩) رابح لونيسي، المرجع السابق، ص٣٧٢.

(٦٠) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص٤٢٣.

(٦١) عبد الرحمن الجيلالي، المصدر السابق، ج١، ص٢٨.

(٦٢) للاستزادة في منهجية تأليف الكتاب راجع: فاطمة بلهواري، **الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ومنهجه في تدوين تاريخ دول الجزائر خلال العصر الوسيط**، مجلة عصور، ١٨ع-١٩، ديسمبر-جانفي٢٠١٢، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جامعة وهران، ص ص١٨٧-٢٠٠.

(٦٣) عبد الرحمن الجيلالي، المصدر السابق، ج٢، ص٧.

(٦٤) ابن باديس، **رجال الإسلام ونساؤه**، الشهاب، المجلد ١٠، العدد جانفي ١٩٣٤، ص١٦.

(٦٥) محمد البشير الإبراهيمي، **الآثار**، ج١(١٩٢٩-١٩٤٠)، الآثار جمع وتقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، لبنان،١٩٩٧، ص ص ٣٧٠،٣٧١. عن: الشهاب، المجلد ١٤، ج٦، أوت١٩٣٨.

(٦٦) نفسه، ج٢، عن: **البصائر**، السنة ١، السلسلة الثانية،١ أوت١٩٤٧.

(٦٧) رابح لونيسي، **الاتجاهات الفكرية**، المرجع السابق، ص ٣٦٠.

(٦٨) الإبراهيمي، **الآثار**، ج٤، ص٣٧٨،٣٧٩. هذا المقال عثر عليه في أوراق الإمام، ولا يعلم الناشر عن كان نشر أم لا، وفي رأينا لا ترقى هذه المقالة إلى مستوى الكتابة التاريخية في ذلك العصر، بل هي وثيقة تاريخية تفيد باحث اليوم في معرفة تفكير النخب واهتمامها بالتاريخ في الفترة الاستعمارية.

(٦٩) رابح لونيسي، المرجع السابق، ص٣٧٤.

(٧٠) أبو القاسم سعدالله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٧، المصدر السابق، ص٣٠٤.

(٧١) مصالي الحاج، **مذكرات (١٨٩٨-١٩٣٨)**، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، ترجمة: محمد المعراجي، منشورات anep، الجزائر، ٢٠٠٧، المصدر السابق، ص١٣٦،١٣٧.

(72) CAOM, A46, 25h32, dossier n°12, rapport de secrétaire-interprète bouras mazouz, mostaganem le29octobre1938.

(٧٣) محمد الشريف ساحلي ولد في سيدي عيش، بولاية بجاية، في عام ١٩٠٦، وتلقى التعليم الابتدائي في المدرسة الأهلية الخاصة بالجزائريين، ثم التحق بمدرسة المعلمين في بوزريعة، وحصل على البكالوريا من ثانوية بيجو (الأمير عبد القادر حاليًا). انضم إلى جامعة السوربون، وتخرج فيها بشهادة الليسانس ودبلوم الدراسات المعمقة في الفلسفة. درس في باريس عدة سنوات ثم أوقفته السلطات الفرنسية لما أبداه من نزعة استقلالية، ومشاعر وطنية، حيث كان يكتب في جريدة "الأمة"، الناطقة باسم حزب "نجم شمال إفريقيا"، كما كان ينشط في "جميعة طلبة شمال إفريقيا"، عندما اندلعت الثورة، كان محمد الشريف ممن لبّى النداء، فعُهد إليه بتمثيل جبهة التحرير الوطني، والحكومة المؤقتة في البلاد الاسكندنافية حتى الاستقلال. وقد عُين محمد الشريف ساحلي سفيرا للجزائر في الصين الشعبية، وفي تشيكوسلوفاكيا، ثم تقاعد عن العمل الرسمي في ١٩٧٨، توفي في ٥ جويلية ١٩٨٩.نقلا عن: محمد الهادي الحسني، تحرير التاريخ، الشروق أون لاين، بتاريخ: 2010/03/10.

(٧٤) حسب الدكتور رابح لونيسي فإن دليله على فتور العلاقة بين الشريف الساحلي والتيار الاستقلالي، هو مؤاخذة بعض قياديي الحركة من اجل الانتصار للحريات الديموقراطية له على عدم إهدائه كتاب الجزائر تتهم إلى مصالي الحاج، وفضل عليه إهداءه للمسلمين الذين استشهدوا من أجل الوطن الجزائري منذ عام١٨٧١. رابح لونيسي، المرجع السابق، ص٣٧٥.

(٧٥) كتبت عن المحاضرة جريدة البصائر فقالت أنّه اختار موضوعا يمثل العلاقة المتينة بين الطالب وتاريخه لأن، ذلك يظهر سيرة السلف الصالح الذي قام بواجب الجهاد ضد المستعمر، ولا شك أن ذلك اسقاط للماضي على الحاضر. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٧، ص٣١٠.

(٧٦) محمد الهادي الحسني، المرجع السابق.

(٧٧) المرجع نفسه.

(٧٨) رابح لونيسي، المرجع السابق، ص٣٧٧.

(٧٩) كان يكتب هؤلاء مقالات تاريخية في جريدة البصائر الثانية خاصة. انظر: مولود عويمر، **مالك بن نبي شغلته مهمة**

تغيير العالم الإسلامي، جريدة البصائر... تاريخ أعلام... وصحوة. نقلاً عن: منتدى طلبة علوم الإعلام والاتصال، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم: قسم علوم الاعلام والاتصال: تاريخ التسجيل:٠٨-٠٦-٢٠٠٩.

(٨٠) لا يمكن أن نعتبر كاتب ياسين مؤرخًا، ولكن يحسب له في هذا المجال تلك المحاضرة التي ألقاها بعنوان "الأمير عبد القادر واستقلال الجزائر" سنة١٩٤٧ بباريس، بحيث استهدف من خلالها كسب المزيد من الفرنسيين لنصرة القضية الجزائرية(=الاستقلال)، ودافع فيها عن العرب الفاتحين، ورفض فكرة الاستعمار العربي لشمال افريقيا، ويظهر من خلال محاضرته بأنه مؤمن فكرة الأمة الجزائرية العربية المسلمة، ويقول فيها: "إن ما من شخص صادق وواع، ينكر البداهة المتمثلة في أن الجزائر بعد أن انتصرت على كل محاولات الاحتلال منذ الفينيقيين مرورا بالرومان، قد اندمجت من تلقاء ذاتها في للقومية العربية الإسلامية" .انظر: رابح لونيسي، المرجع السابق، ص٣٧٨. نقلاً عن: كاتب ياسين، **الأمير عبد القادر واستقلال الجزائر**، ترجمة: محمد هناد-محاضرة ألقيت في قاعة الجمعية العلمية بباريس عام١٩٤٧، ونشرتها مجلة الثقافة الجزائرية مترجمة، ع٧٥ (ماي-جوان١٩٨٣)، ص١٧٥-١٩١.

(٨١) راجع للاستزادة: رابح لونيسي، نفسه، ص٣٨٥-٣٨٩.

(82) AWO, boite 2260. Expose de : charvin, influence de l'orient sur la presse de langue arabe en Algérie (tendances et programme des oulamas), mai1936, p06.

(٨٣) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، المصدر السابق، ج٢، ص٨١.

(84) A.N.T, série: mouvement national, carton ٢٣، dossier n°3, note n°1003-5, l'Islam et les musulmans de l'Afrique du nord, note de résidence générale, Tunis le31mars 1930.